

أهمية توظيف الموروث الشعبي في النص المسرحي الجزائري

-من الإمتاع إلى جدوى الإقناع-

The importance of employing folklore in the Algerian theatrical text

-From pleasure to persuasion-

مامور خليفة

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، الجزائر، khalifa-mamour@univ-eloued.dz

تاريخ النشر: 2022/12/24

تاريخ القبول: 2022/12/04

تاريخ الاستلام: 2022/09/10

ملخص:

يعد الموروث الشعبي ركيزة أساسية لا غنى للمسرح الجزائري عنها، وهو الذي راح يجرب مادة التراث الشعبي ويرسلها تأكيداً لأهميتها وإعادة بعثها من جديد، وكأن بها رافداً أساساً في العديد من المحاولات والتجارب الإبداعية، فهو الذي انطلق من روح ووجدان الشعب ليلتقي بالمسرح ليعبر عن الواقع الجزائري - خصوصاً -، ويرسم ذلك الحضور الجمالي والطاقات التعبيرية الهائلة بلغة الرمز تارة، والمباشرة والتصريح تارة أخرى.

إنه بذلك ينصهر متفاعلاً مع كل إبداع يرتقي بالعمل الفني والأدبي إلى أسمى درجات التصوير من حيث الشكل والمضمون ومهارة التضمين.

كلمات المفتاحية: الموروث الشعبي، النص المسرحي، الإبداع، التفاعل.

Abstract:

The folklore is an indispensable pillar for the Algerian theater, and it is he who will try the folklore material and send it to confirm its importance and resurrect it again, as if it were a source mainly in many creative attempts and experiments. -Especially-, and this aesthetic presence and the tremendous expressive energies are drawn in the language of symbol sometimes, and directness and declaration at other times.

Thus, it fuses interacting with every creativity that raises the artistic and literary work to the highest levels of photography in terms of form, content and skill of embedding.

key words: folklore; theatrical text; creativity; interaction.

1. مقدمة:

تمثل المسرحية أشهر الأنواع الأدبية وأوسعها انتشارا بين القراء خاصة في زمننا الحاضر نظير ما جادت به أقلام الكتاب المسرحيين من مسرحيات كثيرة مست جوانب الحياة المختلفة، فهي الفن الذي يعبر عن حياة الشعوب والأمم من حيث فكرها وفلسفتها ونظرتها لشؤون الحياة، فقد شكل الفن المسرحي العربي عامة والجزائري بالخصوص قفزة نوعية في مجال الكتابة والتمثيل والعرض والأداء، إذ نجد كتابا كثر جزائريين اشتغلوا في هذا الحقل الفني الذي عبروا من خلاله عن مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية للشعب الجزائري خاصة منها ما عاشته الجزائر إبان الحرب التحريرية الكبرى أو ما صاحب هذه الفترة من أحداث ووقائع دولية أو قومية، من خلالها اندلعت عدة أقلام تكتب تلك التجارب المسرحية الأولى تصويرا للأوضاع المعاشة آنذاك وما مر به الشعب الجزائري على اختلاف توجهاته من تطورات أحداث عرفت بالسوداوية التي سلطها الاحتلال الفرنسي الغاشم على الشعب الجزائري الأعزل، الذي راح المبدع والكااتب يعبر عنه في جملة من الفنون والإبداعات كالفن المسرحي بواسطة مادة خام تمثلت في هذه الأوضاع المزرية لهذا الشعب.

لتنطور الأحداث بعد ذلك لتكون المسرحية قبلة للعديد من الكتاب والفنانين والمبدعين الذين احتضن المسرح جل تطلعاتهم وأفكارهم ومواقفهم إزاء العديد من القضايا الراهنة التي يحياها المجتمع الجزائري، فكانت المسرحيات ها هنا منبعاً سخياً تروى به جميع القضايا الإنسانية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، فغدا المبدعون يؤلفون ويكتبون ويجربون ويوظفون في المسرحية بوصفها مرآة المجتمع والأمة وعصارة الجمال لديها، ويقيمون لها الأيام

والمسابقات ويبينون لها الدور والفضاء والركح ليلتقي الجمهور بهذا الفن ويتعرفوا عليه عن قرب ويستشفوا منه خصوصياته ويتأثرون به من خلال النصوص المقروءة أو المعروضة.

فكان من بين ما كان للمسرحية الجزائرية أن توظفه بين ثناياها مجموعة من ألوان الأدب الشعبي كالمثل الشعبي والأغنية الشعبية واللغز والملحون وغيرها، هذا الموروث الشعبي الذي يعتبر روح الأمة ونبض وجودها وهويتها، إنه كم ثقافي وحضاري شعبي كما نلمح ذلك في مسرحيات كتاب المسرح الجزائري من خلال جملة من الأعمال التي بموجبها أرادوا أن يقتربوا من تاريخ الشعب الجزائري ويرصدوا أفكاره ويصوروا نظرتهم للحياة، ويؤكدوا ذلك البعد الثقافي المتين في ثقافتنا الشعبية من عادات وتقاليد وأعراف وطقوس تمتعت بها الجماعة الشعبية وعبر عنها الحكيم والمبدع الشعبي بعدة ألوان تعبيرية اختزلت ممارسة هذا الفرد الشعبي لحياته البسيطة، فكانت مسرحياتهم بمثابة خزان يحفظ هذه الألوان الأدبية الشعبية جيلا بعد جيل، فتولد لديه تلك الصلة بالماضي كونه يخلق ذلك الوجود الفاعل لشعب من الشعوب، ويدفعه للقراءة ترغيبا في هذا الأدب وتعبيرا عن مدى قوته الدلالية والأسلوبية والجمالية التي تقام داخل النص المسرحي.

2. في مفهوم الموروث الشعبي:

إنه ذلك الركام الثقافي المختلف الذي كشف ويكشف عن صور حياة الفرد الشعبي على اختلاف أنماطها (سياسية، اجتماعية، دينية، ثقافية...) إنه نسخة إبداعية واقعية صورت معطيات الحياة على أطرافها المتعددة بوصفه نشاطا حضاريا يربط القديم بالحديث، فهو لا يفهم بالعودة إليه بأنه ضعف أو تراجع، إذ العودة إليه خطوة إلى الأمام وربط للحاضر بالماضي لأن "التراث وفي التراث ذلك الوعي الجمالي، وهو ديوان كبير للوعي الشعبي، وبالتالي فإن ما في التراث هو بالأساس روح الشعب وفكره وهمومه أماله وآلامه، والمبدع

عندما يرجع إلى هذا التراث فهو بالتأكيد يرجع إلى ذاته الجماعية، يرجع إليها من أجل أن يجد نفسه، ومن أجل أن يعرف حدوده الفكرية والحضارية والأخلاقية والدينية¹ فالتراث نقطة تقدم يستند إليها المبدع لأن بها ذاته، حيث الرجوع إليه يعرفنا بحدودنا الفكرية والحضارية وغيرها، حيث يستوجب على الإنسان أن يلزمه فهو الغني بشتى معطيات الفكر والحياة.

كلمة -شعبي- نسبة إلى شعب والشعب: شعوب، الجيل من الناس، القبيلة العظيمة² أي الأفراد من البشر وجيل من الأجيال، أو الأناس من القبيلة الكبيرة الذين تجمعهم روابط ما ونمط وأسلوب حياة.

يرى عبد النور جبور بأن كلمة تراث شعبي تعني بقوله: "مجموع من الأساطير والحكايات التي تنتقل من جيل إلى آخر من تقاليد الشعب"³ أي يجعل التراث الشعبي عبارة عن أجناس أدبية شعبية تنتقل جيلا بعد جيل، والتي تنتقل معها تقاليد الشعب من عادات وطقوس وممارسات...إلخ.

فالتراث الشعبي أو الفولكلور مجموع عادات الناس وتقاليدهم وما يعبرون عنه بآراء وأفكار وأحاسيس ومشاعر تتناقلها الأجيال في صور لغوية لها مميزات "الفولكلور أطلق على التراث المنقول شفاهيا، والمكون من العادات الشعبية والمعتقدات والموسيقى والرقص والأدب الشعبي بكل صنوفه"⁴

فهو يتميز بطابع المشافهة حسب هذا الرأي والمتكون من جملة العادات والمعتقدات والأغاني والموسيقى، فهي كلها موروثات شعبية اشتركت المجموعة الشعبية في إنتاجها. ويرى فاروق خورشيد بأن التراث الشعبي "مصطلح شامل نطلقه لنعني به عالما متشابكا من الموروث الحضاري والبقايا السلوكية والقولية التي بقيت عبر التاريخ، وعبر الانتقال من بيئة إلى أخرى"⁵

فهو بذلك يقر التلاحم الحاصل بين مواد التراث الشعبي المادية منه والمعنوية، حيث تتشكل على يد الفرد الشعبي من خلال سلوكياته وأقواله، والذي انتقل عبر قناة التاريخ من جيل لآخر ومن بقعة جغرافية لأخرى.

ونجد حلمي بدر يقدم لنا مفهوما للتراث الشعبي بقوله: "أفعال وعادات وتقاليده وسلوكيات وأقوال تتناول مظاهر الحياة المختلفة العامة والخاصة، وطرائق الاتصال بين الأفراد والجماعات الصغيرة، والحفاظ على العلاقات الودية في المناسبات المختلفة بوسائل متعددة، والتي ييدر من طرائقها عدد كبير من معتقدات الشعب الدينية والروحية والتاريخية"⁶

فيجعل حلمي بدر حسب رؤيته هذه بأن المورثات الشعبية مجموعة من الممارسات الشعبية المتمثلة في العادات والتقاليد والسلوكيات النابعة من روح الفرد والجماعة الشعبية خاصة في مناسباتهم واجتماعاتهم، وإن ذلك كذلك ونتيجة له فإن هذه الأخيرة تستظهر وتبرز العديد من المعتقدات والأقوال والممارسات الطقوسية والدينية والروحية، كما عليه حال مجتمعاتنا اليوم في حال لقاءاتهم المختلفة (كالأعراس ومناسبات الختان... وغيرها).

كما يرى موسى أحمد علي بأن التراث الشعبي "تلك الفنون والمعتقدات وأنماط السلوك الحية التي يعبر بها الشعب عن نفسه، سواء استخدم الكلمة أو الإشارة أو الإيقاع أو الخط أو اللون أو تشكيل المادة أو آلة بسيطة"⁷

وكأن بهذا المفهوم جعل التراث الشعبي شاملا لكل أشكال التواصل الشعبي بين الأفراد، ولا ينحصر في نمط دون غيره بل مجتمعة باعتبار المقدرة التواصلية التي تحققها وذلك الأثر الذي تخلفه في النفس كاللون والخط والإشارة ونحوها "فالتراث الشعبي هو الثقافة سواء الفكرية أم المادية التي يتوارثها الناس عبر الأجيال"⁸

والذي يحتوي على الرسائل التعبيرية المختلفة التي تحكمها عدة تحولات وظروف متغيرة تتحاز إلى السلوك الشعبي بمختلف أشكاله، ولا تكاد تكون ممثلة في شقها المادي دون المعنوي، ولا تغيب في وقتنا الراهن، لأن الألسن حفظتها من سطوة النسيان والفناء جيلا عن جيل.

1.2 في ماهية المسرح:

أبدع الإنسان خلال مسيرته الفنية والإبداعية الكثير من الفنون والأجناس الأدبية التي عبر منها عن سلوكياته وتطلعاته وأفكاره التي ظلت محل اهتمام الدارسين والمهتمين، إذ راحت هذه الفنون الأدبية تتزاحم فيما بينها للحفاظ على نشاطها وحضورها، وقد أكد فن المسرح من مجموع الفنون الأدبية فعاليتها وحضوره في العديد من الفترات الزمنية المتعاقبة لحياة البشر، فقد راح يمثل بعناية ذلك الواقع ويصور أحداثه، ويجسد ذلك الأمل الإنساني في حياة أفضل وغد مشرق، فقد احتضن تطلعات الأفراد وطموحاتهم، بل وذهب يبحث عن الحلول لمشاكلهم، ويخفف عنهم آلام الحياة التي ظلت تطارد الفرد من حين لآخر خاصة في الوطن العربي في ظل عدة تغيرات "فالمسرح صراع، وهو مثل الحياة تماما، أو هو صورة صادقة للحياة"⁹

كون هذا الأخير-المسرح- مرآة صادقة تعكس للجمهور مظاهر حياته وتقلباتها وأحوالها ويوميته البسيطة التي يعيشها، فهو صورة تمثل ذلك الصراع الذي يعيشه الفرد في مجابهة ظروف حياته المختلفة بصورة تمثيلية داخل حيز زمني وآخر مكاني حيث تدور تلك الأحداث بين شخوص المسرحية وهي تؤدي مقاطع من مظاهر هذه الحياة على اختلاف مواضعها معالجة بذلك قضية من قضايا المجتمع الأسرية أو التعليمية أو الصحية أو الثقافية التي تنبع عن مجتمع ما "ولعلنا لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا إن فن المسرحية هو أكثر

فنون الأدب حاجة إلى نضج الملكة، وسعة التجربة والقدرة على التركيز، والإحاطة بمشاكل الحياة والإنسان¹⁰

وبما أن المسرح يحتاج إلى الملكة وسعة في التجربة، فلا يكاد يكون إلا فنا ناضجا ومن أكثر الفنون تعبيراً عن الإنسان، والإحاطة بما يشغله من شؤون حياته التي ظلت تتقلب من فينة إلى أخرى، فحركات عملية الإبداع لدى المبدعين ليكتبوا أجود أنواع النصوص المسرحية الخالدة والمعبرة بصدق عن الحياة.

فالمسرح صورة المجتمع وعصارة الجمال لديه، فهو روح الأمة ونبض وجودها الحضاري والثقافي، الذي يتطلع منه الإنسان للكشف عن مظاهر وخبائث الحياة المختلفة، فهو فن مطواع لأن يضم كل هذه المحطات الحياتية للبشر، وقالب تصب فيه تجاربه العديدة فالمسرح "يقف عاملاً أساسياً من عوامل التطور والنشأة في المجتمعات وينطلق من البلدان كلها من محاور الاهتمام الجماهيرية ومن قضايا الإنسان المعاصر"¹¹

فلا يكون المجتمع متطوراً وحضارياً إلا إذا أنتج فناً صالحاً يعبر من خلاله على حياته بصدق ويخلد مآثر الشعوب والأمم، ويكون عاملاً أساسياً في الحفاظ على الأفكار والثقافات والتطلعات ليس لحظة الإبداع فقط وإنما حتى لحظة القراءة وخلود النص بين جمهور القراء "فالمسرح ليس منفصلاً عن الواقع المعاش والعفوي فهو يبتلع كل الطاقات"¹²

إنه وسيلة لنقل الواقع إلى الواقع، فهو خزان يستوعب كل الواقع المعاش فيقدم أشكال الحياة كالفرح والغضب والأمل والألم، فكان للمسرح أن احتواها وعرضها في صور بليغة ومتجانسة، وهنا تظهر أهمية الفنون الأدبية إذ كل فن منها لا يصور حياة الناس ولا ينقل واقعهم لا يعول عليه "فأهمية التجربة المسرحية تسعى إلى فهم بعض المشكلات المتعلقة بطبيعة التفاعل الاجتماعي والتغير الثقافي الذي طرأ على البنيات الاجتماعية"¹³

فقد أكدت التجارب المسرحية العربية والجزائرية منها على أن المسرح فهم عميق للأطروحات الاجتماعية والمشكلات الإنسانية التي تظل تلازم المجتمعات العربية نتيجة لتلك التفاعلات الحاصلة بين مختلف فئات المجتمع اجتماعيا، ثقافيا، تاريخيا... إلخ، إذ التغيير الثقافي أسهم بشكل كبير في منح المسرح الجزائري خصوصا مادة لا بأس بها ليشغل عليها كتاب المسرح الجزائري ويكونوا منه مادة إبداعية تتجاوز والمعطى الثقافي والاجتماعي والنفسي والفكري للمجتمع الذي يشترك فيما بينه في خلق الكثير من المتناقضات، فسعت المسرحية أن تحتوي كل هذه المتغيرات مصورة تلك المأمولات الثقافية والحضارية والإنسانية من خلال النص المسرحي والخشبة.

فمن يرى عدد المفاهيم المطروحة للفظه المسرح يدرك تماما بأن هذه اللفظة من حيث حدودها المفاهيمية لا تختلف بشكل كبير من ناقد إلى آخر ومن بين الذين قدموا مفهوما للمسرح نجد:

سلام أبو الحسن يعرف المسرح بقوله: "نشاط إبداعي فكري حرفي من جهة إرساله، وهو يحتاج في الوقت نفسه إلى نشاط جماعي بشري، فالمسرح إبداع تعبيرى معروض في حالة من الأداء الحاضر على متلقين حاضرين جسدا وذهنا ومشاعر"¹⁴

فالمسرح فن درامي يعمل على نقل النص المسرحي المكتوب إلى عرض مشهدي يقوم به مجموعة من الممثلين البارعين في الأداء والتمثيل على الخشبة، من خلال اعتماد فنون الحركة والإلقاء واللغة والإمتاع بغية التأثير في الجمهور والمتلقي والذي يظل يتتبع أحداث المسرحية مستحضرا ذهنه ومشاعره وجسده حتى يتم ذلك التفاعل الإيجابي وهو ينطلق من معالجة ظاهرة ما أو نمط معيشي أو فكرة من الأفكار المستوحاة من رحم الشعب، وبذلك يتحقق هدف الخشبة والنص المسرحي الموجه للجمهور والقراء.

2.2 أهمية توظيف الموروث الشعبي في المسرح الجزائري:

يعتبر المسرح الجزائري من الفنون التي مافنتت تأخذ من فنون التراث الشعبي المختلفة شعره ونثره كالمثل الشعبي واللغز والحكاية وغيرها، فقد أبدع الكاتب المسرحي الجزائري على وجه الخصوص في بناء هذه التجربة نتيجة لجملة من العوامل والبواغث الثقافية والاجتماعية والتاريخية، إذ هذا التوظيف يعتبر شكلا من أشكال التضمين يحدث بصورة واعية ومقصودة "فتوظيف الشعبي هو تحميل التراث دلالات معاصرة جديدة...فهو يعكس هموم العصر وعقده إذا أحسن توظيفه"¹⁵

فالتراث الشعبي خلد عدة تجارب ومناقب وقيم، وصور العديد من جوانب حياة الفرد الشعبي في الماضي، إذ ذاك لا يمنع من أن يستحضر ليحمل دلالة معاصرة تتماشى والحياة الحاضرة للشعوب لما له من حضور دلالي يسكب في النصوص المسرحية، فهو يعكس هموم ومشاكل العصر وعقده المختلفة، وكذا ربط الصلة بين الماضي والحاضر والمحافظة على موروثاتنا الشعبية "فتوظيف التراث هو عملية مزج بين الماضي والحاضر في محاولة لتأسيس زمن ثالث منفلت من التحديد"¹⁶

فكان ربط ذلك الماضي بهذا الحاضر لحظة بناء جديدة في العملية الإبداعية بقصد التعريف بذلك الامتداد الثقافي والفكري الممتد على عدة أصعدة ثقافية، اجتماعية، دينية...وغيرها، ليكون بمثابة محفز على الإبداع ومحركا للإنتاج الأدبي خصوصا المسرحي، فالتراث الشعبي تجربة سابقة يمثل أخرى لاحقة تكشف عن عدة مضمرات اجتماعية ونفسية وثقافية يعيشها الإنسان المعاصر نظير جملة من الشروط الحضارية والإبداعية التي تولدت معه فأراد تصويرها انطلاقا من محيطه بهومومه ومستجداته الراهنة وطوارئه.

3. عوامل توظيف الموروث الشعبي في المسرح الجزائري:

لقد كان لجملة من العوامل الأثر البالغ في جعل الكثير من الكتاب يعمدون إلى استحضار الموروثات الشعبية في كتاباتهم المسرحية خاصة ومرحلة الكتابة المسرحية الأولى كمسرحيات باشطرزي وعاللو وغيرهما، وتمتد هذه العوامل لتكون حاضرة في التجربة المسرحية المعاصرة في الجزائر ك: كتابات الكاتب المسرحي-عز الدين جلاوجي- والذي عمد بصفة مباشرة إلى التراث الشعبي متخذاً منه مادة مكثفة في نصوصه المسرحية، ومن بين العوامل التي أسهمت في توظيف الموروث الشعبي في الكتابة المسرحية في الجزائر نجد:

1.3 العامل الثقافي:

يعتبر العامل الثقافي من أبرز العوامل تأثيراً في الذات المبدعة، كونه يشرح ويقدم العديد من الثقافات الاجتماعية، فهو قد حمل في أحضانه أساليب الحياة وأنماط التفكير عند الإنسان، فكان أن وجد الكاتب المسرحي في الجزائر ما يحتاجه من الثقافة الشعبية ليوظفها في نصوصه كعادات الزواج وطرائق الأكل وأنواع الأفرشة وأساليب العيش المختلفة، من خلال ذلك التواصل الثقافي بين أفراد الجماعة الشعبية، فكان المسرح "الفن الذي نستطيع التواصل فيه مع الأحداث عن قرب"¹⁷

وعلى اختلاف هذه الأحداث سواء كانت دينية أو عادات وتقاليد ومناسبات وشعائر وطقوس، "فالثقافة عبارة عن إسناد وظيفة الأشياء الطبيعية وتسميتها وتذكرها"¹⁸

إنها-الثقافة- بهذا المفهوم تعبر عن تلك الممارسات الطبيعية التي يمارسها الكائن الثقافي من خلال حقل ثقافي له خصوصياته وعلاماته الثقافية، فتجبر المبدع على استحضارها وهذا بتذكرها من أجل التعرف عليها والاقتراب من ثقافة الماضي لمعرفة ميزاتها

وخصوصياتها، ناهيك عن القوالب الأدبية التي تحتوي هذه الثقافة وتخلدها للأجيال اللاحقة، وتمدها بتاريخ ثقافي عامر بشتى المظاهر الثقافية ومشاربها المختلفة.

2.3 العامل السياسي:

لقد عاش العالم العربي موجات عاصيبة في تاريخه عبر الزمن، ومن ذلك ما عاشته الجزائر خلال الثورة التحريرية الكبرى استمرت مخلفاتها لما بعد الاستقلال، فغدا الكتاب والمبدعون يمارسون نوعا من الإبداع الواقعي الذي يمشهد حالة الشعب الجزائري الذي نالت منه مختلف المحن والشدائد، فعزم المسرح الجزائري على أن يخوض تجربة في نقل وتصوير هذه المعاناة لشعب قهر وسلب واضطهد، من خلال كتابة نصوص إبداعية مسرحية تتعرض لملامح الثورة المجيدة وإن على بساطتها من حيث مبناها ويسر أدائها، فكانت محاولة لإيصال صوت الجزائر للخارج وجعلها رمزا تحرريا ومثالا للتضحية في دول العالم المستعمرة، ومن ذلك كذلك تذكير جيل الاستقلال بتاريخ أجدادهم ومدى تحقيق مبدأ حرية الشعب المؤمن بالحرية والأرض، فكان من الضرورة بمقام بعث هذا التاريخ وإحيائه "من خلال مراجعته لا من أجل التقديس والانغلاق، ولكن لتحقيق الوثبة الحضارية المنشودة"¹⁹

فمراجعته لا تعني بالضرورة حفظه بقدر ما تعني عدم تحريفه بل إعادة بعثه عن طريق توظيفه في مختلف الأشكال الأدبية، لتحقيق تلك القفزة الحضارية بالانكفاء على مجموع المواد الثقافية خاصة منها ما تعلق بالموروث الشعبي الذي خدم الثورة التحريرية وحفزها على النهوض بالحرية وطرد الظلم والظالمين، فهو دون شك عنصر مقاوم وفكر تفاعلي نظمته أفواه الجماعة الشعبية وطرحته للأجيال اللاحقة، بالرغم من بساطته وسهولة كلماته، وضعف استحضاره خصوصا في الأعمال المسرحية على اعتبار قلة كتابه في تلك الفترة من تاريخ

الجزائر الثقافي والأدبي، والذي "لاتخلو منه إمكانات المسرح الحقيقي من حيث كونه نصا أدبيا وأفعالا وحركات مصحوبة بالموسيقى والغناء"²⁰

تزامنا وسياسية التجهيل وتغييب للهوية وطمس للثقافة الأصلية للشعب الجزائري التي مارسها ضدها المستعمر الغاشم، بالإضافة إلى غلق الباب أمام كل محاولة إبداعية تقزم المستعمر وتدعو لطرده من الجزائر، حيث جمد المستعمر كثير النشاطات الثقافية ككتاب المسرح آنذاك والذين حوصروا ماديا ومعنويا، فقتل الإبداع فأضحت الحركة المسرحية تشتكي الجمود والتطويق لفترات طويلة، فظل الأمر على ما هو عليه إلى فترة لاحقة، لتأتي بعدها جملة من المحاولات المسرحية تجرب تارة وتتنوع في المواضيع تارات أخرى، من أجل بعث روح الإصلاح الاجتماعي وضرورة التحرر والإيمان بالقيم وبالقضايا العادلة فالمسرح "عامل من عوامل الإصلاح الخلقى والاجتماعي"²¹

والذي يتسلل في ذوات القراء والجمهور فيتأثروا به ويؤثرون به فتتغير وجهات نظرهم لعدة مفاهيم ومعطيات خاطئة، فتتهذب أخلاقهم ويحسن كلامهم، ويثورون ضد من أراد مسخ وإزاحة لغة ودين وثقافة وعادات وتقاليد أمة من الأمم، لاسيما وأن هذه الطاقات الثقافية والروحية تترخر بكثير الأفكار وتعبّر عن ظروف الجماعات الشعبية وكيفيات تعاملها مع المحن والمنح.

3.3 العامل النفسي:

تعبّر الأوضاع التي تعيشها المجتمعات الماضية والحاضرة عن مجموع السلوكيات وردات الأفعال التي تختلف من فرد لآخر تعبيراً عن وضع نفسي ما وبطريقة تختلف من إنسان لآخر، فقد عاشت المجتمعات الشعبية جملة من الحالات النفسية والاضطرابات السلوكية جراء العديد من الأسباب كالمرض واليتم والفقر وغيرها، هذه الأحوال وغيرها تسببت في

تغير نفسية الفرد الشعبي على اختلاف الظروف التي مر ويمر بها، فحاول المسرح الجزائري أن يحتضن عددا من الحالات والضغوط النفسية التي تنتاب أفراد الجماعة الشعبية، هذه الأخيرة التي تنتابها حالات القلق الاجتماعي والتوترات الحادة بسبب عدم القدرة على التخلص منها جراء تعايش هذه الحالات مع أصحابها كحالات الفراق والضغوط العاطفية ونحوها، لضعف التشخيص الطبي أو الإهمال، فامتدت يد المسرح لتلامس هذه المشاكل والضغوط التي مست الإنسان من خلال القيام بكتابة نصوص مسرحية أو تقديم عروض تعمل على تطهير وطرح هذه الأزمات من الذوات القلقة والمتوترة، فإذا ما عدنا إلى موروثاتنا الشعبية وجدنا الكثير من مادتها قد تعرضت للجانب النفسي من حياة الفرد الشعبي كالحظات فرحه أو حزنه أو انتكاساته المبررة وغير المبررة التي لها آثار سلبية تنعكس سلبا على حياته، فنجد في الأمثال الشعبية والألغاز والحكايات والأغاني الشعبية ما يعبر عن هذه العواطف والتوترات أو القلق النفسي الذي شهده الفرد الشعبي، فكل هذه الألوان الأدبية الشعبية لجأ إليها الكاتب المسرحي وهو ينقل حالات المجتمع النفسية انطلاقا من التجارب النفسية السابقة التي مر بها، "فالتراث الشعبي أحد الوظائف التي تروح عن الروح، وتثبت القيم الثقافية والتلاؤم مع أنماط السلوك"²²

فالعودة إلى تراثنا الشعبي كانت مخرجا نفسيا للإنسان الجزائري، وهو يجد في مادته مايزيل همومه ويريح خاطره ويهدئ من توتره وقلقه وينفس عنه من الضغوط التي يعيشها سواء ضغوط اجتماعية أو سياسية أو علمية أو دينية وغيرها، وكأن بهذه الأعمال المسرحية تنفيس من الضغوط التي يعيشها الفرد، فالمسرح "علم موضوعه أحداث الحياة الداخلية، ثم ينتقل كردة فعل على ذلك الاتجاه الذاتي ليدرس المعطيات الخارجية التي تنطلق مع تلك الأحداث، فهو إذن يدرس الكائن الواعي من حيث كونه يفكر ويشعر"²³

فالنفس البشرية تتجاوزها حالات نفسية مختلفة هي تلك من حولها، إلى تلك التي يعيشها داخليا انطلاقا من عدم وعيه بها، فحاول المسرح أن يقترب من مثل هذه الحالات النفسية من الجمهور لسحب معرفه حالاته ونوباته التي تظل تحاصره من وقت لآخر، فاشتغل علم النفس على إيجاد حلول علاجية لمثل هذه الحالات عن طريق المرافقة السريرية، ولما كان الإبداع تعبيرا عن الإنسان "بدأ التحليل النفسي يشتغل بوصفه علاجا يسعى إلى الكشف عن الجوهر المكبوت عن طريق اللغة من خلال الحوار، غير أنه انتقل إلى مجال الإبداع في محاولة للإمساك بمحورين مهمين هما: مبدأ اللذة ومبدأ الواقع"²⁴

فهو بهذا الاقتران يكون العمل الإبداعي-المسرحي خصوصا- قد خطا خطوات واعية وممكنة وهو يعمل على توازن الحياة النفسية واستقرارها، وينمي الوعي لدى الجمهور والقراء، ويطرح الحلول العلاجية التي من شأنها أن تمكن من خفض مستوى القلق الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

4.3 العامل الفني:

اهتم المسرح الجزائري بجانبيه الشكلي والمعنوي في سنواته الأخيرة بل وتلقيا كذلك انطلاقا من استفادته من قوالب أدبية مختلفة، فقد حظي المسرح الجزائري من حيث هو عمل إلقائي من التجربة الأدبية الشعبية التي حفظتها لنا خزانة التراث الشعبي "إذ اهتم التراث بالنصوص التعبيرية الكثيرة، وبأشكال كثيرة قابلة للمسرح"²⁵

وامتدت لتمس العديد من الأجناس الأدبية، فقد أخذت المسرحية الجزائرية من تقاليد العرف المسرحي في تناولها لمواضيع الحياة، كالوقوف على مواضيع الثورة والتاريخ والدين والفكر والثقافة مراعية الأسس الفنية للمسرحية وخصوصية الموضوع المعالج مستندة إلى كم

التراث الشعبي المتنوع والغزير من حيث مادته وموضوعاته، من خلال استقطابه في العمل المسرحي كونه يصلح للتمسرح.

فالعامل الفني يمكن أن نحصره في وجهين الأول إحساس المبدع بثراء مادة التراث والإمكانات الفنية التي يمتلكها، فهو يملك طاقة تعبيرية تصور وجدان وأحاسيس وظروف الأمة، والوجه الثاني يكمن أن نلخصها في تلك النزعة التي يمارسها المبدع باعتماد الطرح الموضوعي، حيث يعمد إلى آليه الإقناع باعتماد شروط تخص اللغة والموضوع والطرح والأساليب والأداء بغية تقريب المشهد الواقعي على خشبة من خلال شخصيات المسرحية وأحداثها وزمانها ومكانها وحبتها... إلخ، أو النصوص المقروءة، فالمسرح وتشكيله الفني يكون قد جسد ذوقا فنيا وشعبيا خالصا "إذ يحقق ذلك التجاوب والتناسق لدى المتلقي"²⁶

وهو الذي يعرض بطريقة تمثيلية نلمح فيها ذلك التماسك الفني والموضوعي، فهو "يتميز عن باقي الفنون والآداب بأنه متحول من جنس مكتوب إلى جنس معروض، يحمل ما يحمل من دلالات تاريخية وأنية متخيلة، حيث يكون له شكل وملامح جديدة تعطيه الفرصة ليتفاعل مع محيطه من المتفرجين، ويكون معهم ذاتا اجتماعية متداخلة في هذه الفترة الزمنية المتمثلة بوقت الوصف"²⁷

أي إن المسرح حيث تتفاعل عناصره كلما تحقق ذلك التفاعل بين الممثلين وجمهورهم، فتذوب هذه التجربة المسرحية بين القراء والمتفرجين فتظهر فاعليتها والأحكام الفنية والموضوعية على مستواها.

5. خاتمة:

إن الرجوع إلى التراث-الشعبي- سمة ميزت الأعمال المسرحية الفنية الرامية إلى تأصيل المسرح الجزائري شكلا ومضمونا، فالتراث الشعبي عنصر أساسي لا يتجزأ من كيان

الأمة، ومقوم هام من مقومات الشخصية الجزائرية، بل وهو رمز لأصالتها وسيادتها، خاصة وما شهدته المجتمع الجزائري من أحداث ارتبطت أكثر باستقلاله وحرية، فحق على كل من يرفع قلمه أن يعي قيمة تراثه الشعبي، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال بعثه وتوظيفه ليكون صمام أمان للأجيال اللاحقة، وحافزا لتقديس تراث الأجداد من عادات وتقاليد وأشعار شعبية وأقوال معبرة كالمثل ونحوها، فالكتاب وفي مقدمتهم الكتاب المسرحيين لم يخلوا عن توعية الشعب الجزائري وتثقيفه في مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية والدينية والتاريخية منذ نشأة المسرح الجزائري الفصيح والعامي، من خلال توظيف مختلف الموروثات الشعبية بغية جذب القارئ وجدانيا وتعريفه بمختلف هذه الطاقات التعبيرية ومدى الأخذ من منابعها الصافية، وهي تصور ذلك الواقع الحضاري والسياسي والثقافي والديني...الذي عاشته وتعيشه الجزائر عبر حقب زمنية مختلفة.

6. قائمة المراجع:

- ¹ - فرج مجدي، محاورات في التجريب المسرحي، المجلس الأعلى للثقافة، بغداد، د.ط، 1998، ص77.
- ² - المنجد الأبجدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، د.ط، د.س.ط، ص1206.
- ³ - عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، ط01، 1979، ص317.
- ⁴ - أحمد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأثروبولوجيا النفسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1988، ص313.
- ⁵ - خورشيد فاروق، الموروث الشعبي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط01، 1992، ص12.
- ⁶ - حلمي بدر، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار المعارف، القاهرة، ط01، 1986، ص25.
- ⁷ - موسى أحمد علي، مقدمة في الفولكلور، دار الثقافة، القاهرة، ط02، 1986، ص25.
- ⁸ - المرجع نفسه، ص107.

- ⁹- محمد الطاهر فضلاء، المسرح تاريخاً ونضالاً- المسرح العالمي، المسرح العربي- ، ج01، ط01، 2009، ص39.
- ¹⁰- محمد زكي العشماوي، المسرح أصوله واتجاهاته المعاصرة مع دراسات تحليلية مقارنة، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود، د.ط، 2009، ص11.
- ¹¹- ميسون حنا، الدراما النسائية في المسرح المغربي الحديث، دار فضاء للنشر والتوزيع، ط01، 2013، ص50.
- ¹²- نعيم قطان، الواقعي والمسرحي، منشورات الجمل، ط01، 1997، ص09.
- ¹³- مخلوف بوكروح، المسرح والجمهور، مقامات للنشر والتوزيع، د.ط، د.س.ط، ص08.
- ¹⁴- سلام أبو الحسن، حيرة النص المسرحي بين الترجمة والاقتباس والإعداد والتأليف، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ط02، 1993، ص19.
- ¹⁵- حمادي صبري مسلم، أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1980، ص160.
- ¹⁶- عبد السلام المسدي، توظيف التراث في الشعر العربي المعاصر، مجلة العربي، ع: 412، مارس 1993، الكويت، ص85.
- ¹⁷- فيصل الأحمر، معجم السيمائيات، الدار العلمية للعلوم ناشرون، ط01، 2010، ص102.
- ¹⁸- آن إينو وآخرون، السيمائيات الأصول والقواعد والتاريخ، تر: رشيد بن مالك، دار مجدولوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط01، 2008، ص32.
- ¹⁹- وتار محمد رياض، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2002، ص11.
- ²⁰- تمارا إلكسندر روفنا، ألف عام وعام على المسرح العربي، تر: توفيق المؤذن، دار الفرابي، بيروت، د.ط، 1881، ص88.
- ²¹- صالح لمباركية، المسرح في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، د.ط، 2005، ص90.

- ²²- رشدي صالح، المأثورات الشعبية والعالم المعاصر، مجلة عالم الفكر الكويتية، م:03، ع:01، 1972، ص72.
- ²³- فيصل الأحمر، معجم السيمائيات، ص275.
- ²⁴- عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، دار الكتاب الحديث، د.ط، 2012، ص121.
- ²⁵- إدريس قرقوة، التراث في المسرح الجزائري- دراسة في الأشكال والمضامين - ، ص48.
- ²⁶- عبد الحميد حسن، الأصول الفنية للأدب، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2، 02، 1964، ص27/26.
- ²⁷- عمر غباش، لغة المسرح والعولمة- البحث عن هوية المسرح- ، مجلة الرافد، شهرية ثقافية جامعة، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ع:103، ص73.